﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان: 70]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

ترغيبُ الأبرار في رحمة العزيزِ الغفّار

لمّا أتمّ سبحانه تهديدَ الفُجّار، على هذه الأوزار، أتبعه ترغيبَ الأبرار في الإقبال على الله العزيز الغفّار[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تَابَ﴾: (تاب) تدور اشتقاقاتُها على معنى الرّجوع، ومنه قولهم: تاب من ذنبه إذا رجع عنه[2]، وتاب إلى الله: رجع إليه بالطّاعة بعد المعصية، وتاب الله على العبد: رجع إليه بالمغفرة[3]، والتّواب: اسمٌ من أسماء الله تعالى، معناه: أنّه يوفّق عباده للتّوبة، ويقبلُها منهم[4]، وحقيقةُ التّوبة شرعًا: تركُ الذّنب مخافةَ الله تعالى، واستشعارُ قبحه، والنّدمُ على ذلك، والعزيمةُ على ألّا يعود إليه إذا قدر عليه[5].

2) ﴿يُبَدِّلُ﴾: البَدلُ الخَلَفُ من الشّيء[6]، وأصلُ البَدل، حلولُ شيء محلَّ شيء، وهو قيام الشّيء مقامَ الشّيء الذّاهب، يقال: هذا بَدلُ الشّيء وبديلُه[7]، ويقال بَدَلٌ وبِدْلٌ لغتان وأبدَلْت الشّيء بغيره، وبدّله الله من الخوف أمنًا، والمُبادَلَةُ: التَّبادُلُ[8]، ومعناه أعْطاهُ مِثْلَ ما أخَذَ منه[9].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 428.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (توب).
(3) الأزهري، تهذيب اللّغة: (توب).
(4) سعيد القحطان، شرح أسماء الله الحسنى، ص: 110.
(5) صالح السّدلان، التوبة إلى الله، ص: 10.
(6) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللغة: (بدل).
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بدل).
(8) الجوهريّ، الصّحاح: (بدل).
(9) الفيروزابادي، القاموس: (بدل).

ومعنى تبديل سيئاتِ العُصاة في الآية أنّ يُبدلهم الله بقبائح أعمالهم في الشِّرك محاسنَ الأعمال في الإسلام؛ فيبدِّلهم بالشِّرْك إيمانًا، وبقتل المؤمنين قتلَ المشركين، وبالزِّنا عِفّة وإحصانًا[1].

❁ المَعْنَى الإِجْماليُّ:

استثناءُ النّادمين التّائبين من العذاب المهين

تَستثني العنايةُ الربانيةُ من العذاب الّذي أُعدَّ لأصحاب الكبائر مَن تاب مِن هذه الذنوب توبة نصوحًا وآمن إيمانًا جازمًا مقرونًا بالعمل الصالح، فأولئك يمحو الله عنهم سيئاتِهم ويجعلُ مكانها حسناتٍ؛ بسبب توبتهم وندمهم، وكان الله غفورًا لمن تاب، رحيمًا بعباده حيث دعاهم إلى التّوبة بعد مبارزته بأكبر المعاصي[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ الاستثناء في مطلع الآية:

رحمةُ ربِّ العالمين بعباده التّائبين

استُهلّ قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ بأسلوب الاستثناء منَ العموم الذي أفادته (مَن) الشّرطيةُ في قوله: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾، والتّقدير: (إلّا من تاب فلا يضاعف له العذاب ولا يخلد فيه)، وهذا تطمينٌ لنفوس فريق من المؤمنين الّذين قد كانوا تلبّسوا بخِصال أهلِ الشّرك ثم تابوا عنها بسبب توبتهم منَ الشّرك[3]، وفي صحيح مسلم عن ابن عباس ﷺ: «أنّ ناسا من أهل الشّرك قَتَلوا فأكثروا وزَنَوْا فأكثروا، فأتَوْا محمّدًا ﷺ فقالوا: إنّ الّذي تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرُنا أنَّ لِما عَمِلنا كفّارةً فنزلت: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ الآية»، والمعنى: أنّه يُعفى عنه من عذاب الذّنوب الّتي تاب منها[4].

واختلف العلماءُ في نوع هذا الاستثناء على وجهين؛ **أحدُهما:** أنّه

(1) الواحدي، البسيط: 16/ 596.
(2) نخبة منَ العلماء، التّفسير الميسّر، ص: 366.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 75.
(4) أخرجه مسلم في صحيحه، الحديث رقم: (122).

استثناء متّصلٌ وهو ما دلّ عليه كلامُ الجمهور؛ لأنّه من الجنس، **والثّاني**: أنّه منقطع، ورجّحه أبو حيان معلّلًا بأنّ المستثنى منه محكومٌ عليه بأنّه يضاعف له العذابُ، فيصير التّقدير: (إلّا من تاب وآمن وعمل عملًا صالحًا فلا يضاعف له العذاب)، ولا يلزم من انتفاء التّضعيف انتفاءُ العذاب غيرِ المضعّف بخلافه في المنقطع، فإنّ التّقدير: (لكن من تاب إلى آخره)، فلا يلقى عذابًا البتّة، ووجه كلام الجمهور بأنّ ما ذُكر ليس بلازم؛ إذِ المقصود الإخبارُ بأنّ من فعل كذا فإنّه يحِلّ به ما ذُكر إلّا أن يتوب، وأمّا إصابة أصلِ العذاب وعدمُه فلا تَعَرُّضَ في الآية له[1].

إيثارُ الموصول ﴿مَن﴾ في الآية:

مخاطبةُ العقلاء المكلّفين بتطبيق شرائعِ الدّين

عُبّر في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ باسم الشّرط ﴿مَن﴾ القائمِ مقامَ الاسم الموصول المشترك ﴿مَن﴾ الدّالّ في الأصل على العاقل، وذلك لأنّ السّياق في مخاطبة العقلاء المكلّفين شرعًا بفعل المأمورات واجتناب المنهيّات، وهم الذين يكون لهم الثّوابُ على الطّاعة والعقابُ على المعصية.

سرُّ التّعبير عن الأفعال بالمضيّ:

ارتباطُ قَبول التّوبةِ بتحقّق شروطِها في التّائب

أوثر في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ استعمالُ أفعال (التّوبة والإيمان والعمل) بصيغة الماضي دون غيرها للدّلالة على وجوب تحقّق هذه الصّفات في التّائب من الكبائر المذكورةِ، وذلك لأنّ قَبول التّوبة منوطٌ بتحقّق شروطِها منَ الإقلاع عن الذّنب، والنّدمِ على ما فرّط، والعزمِ على أن لّا يعود إلى الذّنب.

دلالةُ عطف الإيمان والعمل الصّالح بالواو:

ضرورة الجمع بين التّوبة والإيمانِ والعمل الصّالح لقَبول التّوبة

عُطف في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ الإيمانُ والعملُ الصّالح على التّوبة بحرف الواو الدّالّ على الجمع

(1) الخطيب الشربيني، السراج المنير: 2/ 675.

والاقتران لإفادة ضرورة الجمع بينها لقبول التّوبة، فالتّائبُ يرجع عن كلّ شيء كان فيه من هذه النّقائص بعد أن يوجِدَ الأساسَ الذي لا يَثبتُ عملٌ بدونه وهو الإيمان، ويؤكِّد رجوعَه بالعمل الصّالح المؤسَّس على الإيمان[1].

إيثارُ لفظِ العمل دون غيره:

قصدُ التّائب للأعمال الصّالحة تكفيرا عن أعماله الطّالحة

أوثر التّعبيرُ بالفعل (عمل) في قوله تعالى: ﴿وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ دون غيره؛ لأنّ العمل لا يكون إلّا بقصد فهو أخصّ من الفعل[2]، فيجب على التّائب القصد إلى الأعمال الصالحة والاجتهاد فيها ليكفّر الله عنه أعماله السيّئة، كما يطلق الفعل (عمل) على معالجة الشيء والدّأب عليه ولهذا سمّيت النّاقة الدّؤوب باليَعْمُلةِ، فينبغي للتّائب المداومةُ على العمل الصالح وعدمُ الانقطاع عنه.

نكتةُ التّعبير بالمفعول ﴿عَمَلًا﴾:

التّوكيدُ على ضرورة الأعمالِ الصّالحة المغايرةِ للأعمال السّابقة

صُرّح في قوله تعالى: ﴿وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ بالمصدر ﴿عَمَلًا﴾ بخلاف شبيهها من الآيات الكثيرة التي اكتُفي فيها بالوصف ﴿صَٰلِحًا﴾ دون الموصوف نحو: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [مريم: 60] ونحو ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه: 82] لنكتةٍ بلاغيةٍ وهي أنّ ذكر الموصوفِ مع جريانِ الصّالحِ والصّالحاتِ مَجرى الاسم للاعتناءِ والتّنصيص على مغايرته للأعمال السيّئة السّابقة[3]. وكذلك للجمع بين الفعل ومصدرِه المؤكّدِ له مبالغةً في التّوكيد على ضرورة سعي التّائب للإتيان بأعمالٍ صالحةٍ تمحو أعماله السّيئةَ.

سرُّ عطفِ العامّ على الخاصّ في الآية:

أُفرِد ذكرُ التّوبة والإيمان في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ

(1) الخطيب الشربيني، السراج المنير: 2/ 675.
(2) الراغب، المفردات: (عمل).
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 229.

الإيمانُ أساسُ قَبول الأعمال

﴿وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ مع كونهما داخلَين في العمل الصّالح المذكور بعدهما لنكتةٍ بلاغيةٍ وهي التّنويهُ بشأنهما وفضلِهما، ولـمّا كان لا بدّ معهما من سائر الأعمال لا جرمَ ذكرَ عقيبَهما العملَ الصالح، فعطف ﴿وَءَامَنَ﴾ على ﴿مَن تَابَ﴾ للتّنويه بالإيمان، وليبنيَ عليه قولَه: ﴿وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ وهو شرائعُ الإسلام تحريضًا على الصّالحات وإيماءً إلى أنّها لا يُعتدّ بها إلّا مع الإيمان كما قال تعالى في سورة البلد ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البلد: 17]، وقال في عكسه ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا﴾ [النور: 39][1].

سرُّ تنكير ﴿عَمَلًا صَٰلِحًا﴾:

الـتّرغـيـبُ في عـمـوم الأعـمـال الـصّـالـحـةِ دون تعيين

ورد العملُ في قوله تعالى: ﴿وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ نكرةً لغرض العموم، وعدمِ إرادة التّعيين، ثم وُصف بـ ﴿صَٰلِحًا﴾ الّتي جاءت نكرةً أيضًا، فأضافت لهذا العموم تخصيصًا، والمعنى: الحسنُ من الأعمال.

فالتّائب مطالبٌ بالحرص على اغتنام كلّ الأعمال الصّالحةِ دون تعيين لقوله ﷺ: «لا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعروفِ شيئًا، ولو أنْ تَلْقَى أخاكَ بوَجْهٍ طَلْقٍ»[2]، وقولِه ﷺ: «اتَّقوا النّارَ ولو بشِقِّ تَمرَةٍ، فمَن لَم يَجِدْ فبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»[3].

معنى الفاء من قوله ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾:

ترغيبُ العُصاة في التّوبة ممّا فات بإبدال سيئاتِهم حسناتٍ

عُطف قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ﴾ على ما قبله وهو قولُه تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ بحرف الفاء ربطًا للجزاء بالشّرط دليلًا على أنّه سببُه، وزيادةً في ترغيب العصاة في التّوبة وتبشيرِهم بأنّهم إن تابوا وآمنوا وعملوا

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 24/ 484، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 76.
(2) أخرجه مسلم في صحيحه، الحديث رقم: (2626).
(3) أخرجه البخاريّ في صحيحه، الحديث رقم: (6023).

عملًا صالحًا سيبدّل الله سيئاتِهم حسناتٍ، وهو كلامٌ مسوقٌ لبيان فضل التّوبة المذكورة التي هي الإيمانُ بعد الشّرك[1].

نكتةُ التّعبير باسم الإشارة للمجموع البعيدِ:

مـدحُ التّائبين بعلوِّ منزلتِهم عند ربّ العالمين

استُعمل في قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ﴾ اسمُ الإشارة (أولئك) وهو موضوعٌ في اللغة للجمع البعيد، وهو هنا إشارةٌ إلى الموصولِ، والجمعُ باعتبارِ معناه كما أنّ الإفراد في الأفعالِ الثّلاثة باعتبار لفظه، أي: (أولئك العالوا المنزلة الموصوفون بالتّوبةِ والإيمانِ والعملِ الصّالحِ)، كما يفيد اسمُ الإشارة للبعيد (أولئك) التّنبيهَ على أنّهم أَحْرياءُ بما أُخبِر عنهُم به بعد اسم الإشارة لأجل ما ذُكِر منَ الأوصاف قبل اسم الإشارة، أي: فأولئك التّائبون المؤمنون العاملون الصّالحاتِ يبدّل الله عقابَ سيئاتهم الّتي اقترفوها منَ الشّرك والقتل والزّنا بثوابٍ[2].

دلالةُ التّعبير بفعل التّبديل مادةً وصيغةً:

كرمُ ربِّ العالمين المتجدّدُ مع عباده التّائبين

أوثر في قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ﴾ التّعبيرُ بالفعل ﴿يُبَدِّلُ﴾، ومعنى التّبديل جعلُ شيء بدلًا عن شيء آخرَ، فيجعلُ الله لهم حسناتٍ كثيرةً عوضًا عن تلك السّيئات الّتي اقترفوها قبل التّوبة، وهذا التّبديل جاء مجملًا وهو تبديلٌ يكون له أثرٌ في الآخرة بأن يعوّضهم عن جزاء السّيئات ثوابَ حسناتٍ أضدادَ تلك السّيّئات، وهذا لفضل الإيمان بالنّسبة للشّرك ولفضل التّوبة بالنّسبة للآثام الصّادرة منَ المسلمين، كما أنّ مجيء الفعل ﴿يُبَدِّلُ﴾ بصيغة المضارع لنكتةِ الدّلالة على الاستقبال بأن يكون

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 429، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 230، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 76.

(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 429، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 77.

ذلك يومَ القيامة، كما يفيد الاستمرارَ والدّوام فكلّما تاب العصاة من ذنوبهم أبدلهم الله عوضَها حسناتٍ[1].

سرُّ إظهارِ اسمه الأعظم:

استشعارُ عظمةِ الكريم في عطائه الجزيل

عُبّر في قوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ بالاسم الكريم ﴿ٱللَّهُ﴾ لاستحضار عظمتِه سبحانه في فضله وكرمه في معاملته للتّائبين منَ العصاة، فيُذْكرُ اسْمُ الجلالَةِ لإحضارِ المعْنى الجامعِ لِصفاتِ العظمة والكمالِ[2].

توجيهُ نسبةِ السّيّئات إلى العصاة دونَ الحسنات:

تـفـضّـلُ الـلـه عـلـى الـعـصـاة بتبديل سيئاتِهم حسناتٍ

أضيفتِ السّيّئات في قوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ إلى التّائبين منَ المعاصي؛ لكونهم باشروها بأنفسهم واكتسبوها، ونكّر الحسناتِ ولم يضفْها إليهم؛ لأنّها من غير صُنعهم وكسبهم، بل هي مجرّدُ فضل الله وكرمِه المحضِ[3]، كما يدلُّ تنكيرُ ﴿حَسَنَٰتٍ﴾ على الكثرة، فهو يُبدلهم بسيآتهم حسناتٍ كثيرةً، ويدلّ على هذا حديثُ: «آخِرُ أهْلِ النّارِ خُروجًا مِنْها، رَجُلٌ يُؤْتَى به يَومَ القيامَةِ، فيُقالُ: اعْرِضوا عليه صِغارَ ذُنوبِهِ، وارْفَعوا عنْه كِبارَها، فتُعْرَضُ عليه صِغارُ ذُنوبِهِ، فيُقالُ: عَمِلْتَ يَومَ كَذا وكَذا: كَذا وكَذا، وعَمِلْتَ يَومَ كَذا وكَذا: كَذا وكَذا، فيَقولُ: نَعَم، لا يَسْتَطيعُ أنْ يُنْكِرَ وهو مُشْفِقٌ مِن كِبارِ ذُنوبِهِ أنْ تُعْرَضَ عليه، فيُقالُ له: فإنَّ لكَ مَكانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً، فيَقولُ: رَبِّ، قدْ عَمِلْتُ أشْياءَ لا أراها هاهُنا، فلقَدْ رَأَيْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حتَّى بَدَتْ نَواجِذُهُ»[4].

معنى الواو في ختام الآية:

مـغـفـرةُ الـلـه ورحمتُه وسعت كلَّ شيء

عُطف قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ على ما قبله بحرف

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 76.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 104، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/ 40.
(3) القاسمي، محاسن التّأويل: 7/ 441.
(4) أخرجه مسلم في صحيحه، الحديث رقم: (190).

الواو الدّالّ على الجمع والاقتران؛ لأنّه خرج مخرجَ التّذييل لِما سبق، وفائدةُ التّذييل غالبًا توكيدُ المُذيّل، وإبرازُ حُكمه في صورة كليّة[1]، فأكّد الله سبحانه أنّ رحمته وغفرانَه غيرُ مقيّدَين بشيء ممّا مضى، بل صفاتُه مطلقةٌ تليق بكرمه وجلاله.

دلالةُ فعلِ الكينونة الماضي:

صـفـاتُ الـلـه سبحانه دائمةٌ مطلقةٌ

ورد في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ استعمالُ الفعل الماضي (كان)، الّذي يأتي في الأصل للاتّصاف بالخبر في الماضي مع الانقطاع، غيرَ أنّه يخرج لدلالة الدّوام والاستمرار بمعنى (لم يزل)، فتختصُّ كان بمرادفة لم يزل كثيرًا، أي: أنّها تأتي دالّةً على الدّوام[2]، وفائدتُها هنا الإشعارُ بأنّ اتّصافه تعالى بهذين الوصفَين دائمٌ ثابتٌ في الأزل، وهذا المناسبُ لصفات الله سبحانه فهي دائمةٌ مطلقةٌ، ثمّ إنّ ذلك من شأنه وعادتِه سبحانه أن يغفرَ ويرحم[3].

سرُّ إظهارِ لفظ الجلالة في النّظم:

عـظـمـةُ الـلـه سـبـحـانـه في مغفرتِهِ ورحمته

أُظهر الاسمُ الأعظم ﴿ٱللَّهُ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾؛ لأنّه لمّا كان إبدالُ السّيّئات حسناتٍ أمرًا لم تجرِ العادةُ بمثله، أخبر سبحانه أنّها صفتُه تعالى أزلًا وأبدًا، فقال مكرّرًا للاسم الأعظم للدّلالة على أنّه ذو الجلال والإكرام المختصُّ وحده بصفاتِ العظمة.

إيثارُ لفظَيْ ﴿غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ دلالةً وصيغةً:

إثـبـاتُ رحـمـة الـلـه بالعصاة وإبدالُ سيآتهم حسناتٍ

تضمّن قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ إثباتَ صفتَين من صفات الله ﷻ، وهي صفةُ المغفرة وصفة الرحمة، فالله سبحانه ستورٌ لذنوب كلِّ من تاب من عباده العصاة، رحيم بهم يُعطيهم مكانَ كلّ سيّئة حسنةً ويرفع درجاتِهم في الآخرة[4].

(1) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 6/ 386.
(2) السّيوطيّ، همع الهوامع: 1/ 120.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 4/ 1823.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 429.

دلالةُ جملةِ الفاصلة الاعتراضيّة:

جاء قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ على سبيل الاعتراض التّذييليّ، فهو تذييلٌ جارٍ مجرى المثل؛ لكونه مستقلًّا بالإفادة، من غير افتقارٍ إلى ما قبله في بيان المرادِ منه، وفائدتُه تقريرُ ما سبق في الكلام قبله من محوِ السيّئات وإثبات الحسنات مكانَها، مذيّلًا بذكر صفتَيِ المغفرة والرّحمة المقتضيتَين لتقريب عباده بالغفران والرّحمة وفتحِ باب التّوبة لمن أراد من عباده الصّالحين[1].

تقريبُ العباد بالغفران وتنجيتُهم بالتّوبة منَ النّيران

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

التوبة، والإنابة:

يظهر الفرقُ بين (التّوبة)، و(الإنابة) في المعنى الدّلاليّ لكلّ لفظٍ منهما، فالتّوبة أصلٌ واحدٌ يدلُّ على الرُّجوع، يقال تابَ مِنْ ذنبه، أي رَجَعَ عنه يتوب إلى الله تَوبةً ومَتابًا، فهو تائب[2]، وهي لا تُطلق إلّا على الرّجوع إلى الحقّ، وأمّا الإنابة فأصلٌ واحدٌ أيضا يدلُّ على اعتياد مكانٍ ورجوعٍ إليه[3].

الإنابةُ توبةٌ ولزومٌ للطّاعة في المستقبل

فنلاحظ من هذين التّعريفين أنّ الإنابة توبةٌ وزيادةٌ، ففي الإنابة معنى اللّزوم للطّاعة بعد الرّجوع بالتّوبة، ويؤكّد هذا الفرقَ كلامُ ابن القيّم رحمه الله في مدارج السّالكين: "من نزل في منزل التَّوبة وقام في مقامها نزل في جميع منازل الإسلام، فإذا استقرّت قدمُه في منزل التّوبة نزل بعده منزلَ الإنابة، وقد أمر به تعالى في كتابه، وأثنى على خليله به، فقال: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ [الزمر: 54]"[4] وكذلك قوله في الفوائد: "قوله: ﴿وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾ [ق: 33] قال ابن عباس: راجعٌ عن معاصي الله مقبلٌ عليّ طاعة الله، وحقيقةُ

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 230، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 10/ 5320.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (توب).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (نوب).
(4) ابن القيّم، مدارج السّالكين: 2/ 55.

الإنابة عكوفُ القلب على طاعة اللّه ومحبّته والإقبال عليه"[1]، فجعل من معانيها العكوفَ على الطّاعة وهو بمعنى لزومها، ويؤكّد هذا الفرقَ أيضًا قولُ العسكريّ في الفرق بين التّوبة والإنابة: أنّ التّوبة هي النّدم على فعل ما سبق، والإنابةُ: ترك المعاصي في المستقبل[2]، وهذا لا يكون إلّا بلزوم الاستقامة.

وقد أوثر في الآية استعمالُ لفظِ (التّوبة) تحريضًا للعصاة على ترك ما هم عليه منَ الفواحش، والنّدمِ على ما سبق منهم.

العمل، والفعل، والصنع:

عـمـومُ الفعل، وخـــصـــوصُ العمل بالقصد والزّمان، وتميّزُ الصّنع بالإتقان

العمل والفعل كلاهما دالٌّ على الحدث، ومع ذلك يوجد بينهما فرقٌ في الاستعمال القرآني وإن كان يجمعُهما معنى التّأثير في الشّيء، فالفعل هو التّأثير في الشّيء من جهة مؤثِّرٍ، والعملُ إيجادُ الأثر في الشّيء، يقال فلان يعمل الطّين خزفًا، ويعمل الخوصَ زمبيلًا، ولا يقال يفعلُ ذلك؛ لأنّ المراد من ذلك الشّيء هو إيجادُه، ومنَ الفروق بينهما أنّ في العمل امتدادًا زمنيًّا، قال تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ﴾ [سبأ: 13] إذ كان فعلُهم بزمان، وقوله تعالى: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البقرة: 25]، أي: ثابروا على عملها، وأمّا الفعل فيتميّزُ بالسّرعة، قال تعالى: ﴿وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ﴾ [الحج: 77]، أي استبقوا إليه بالمسارعة[3].

أمّا الصّنع فترتيبُ العمل وإحكامُه، وتقدّمُ العلم به وبما يوصل إلى المراد منه، ولذلك قيل للنّجار صانعٌ، ولا يقال للتّاجر صانعٌ؛ لأنّ النّجّار قد سبق علمُه بما يريد عمله من سرير أو باب، ويعلمُ الأسباب التي توصل إلى ذلك، والتّاجر لا يعلم إذا اتّجر أنّه يصل إلى ما يريده منَ الرّبح، فالعملُ لا يقتضي العلمَ بما يعمل له.

(1) ابن القيّم، بدائع الفوائد: 4/ 1307.
(2) العسكريُّ، الفروق اللُّغويَّة، ص: 146.
(3) القبعيّ، الأصلان في علوم القرآن، ص: 387.

والصّنعُ يدلّ على الجودة[1]، فهو أخصّ من العمل، فلا يقال إلّا لِما كان منَ الإنسان بقصد واختيارٍ، وبعد فكر وتحرٍّ وإجادة، فحيثما ذُكر كافّتُهم قال: ﴿لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٦٢﴾ [المائدة: 62]، وحيثما ذُكر خاصّتُهم وحفظةُ العلم ذُكِر: ﴿لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ٦٣﴾ [المائدة: 63][2]، وقد أوثر في الآية استعمالُ لفظ (العمل) لإفادة القصد إلى الأعمال الصّالحة والمثابرةِ على فعلها مدّةَ الحياة.

التّبديل، والتّغيير، والتّعويض:

التّبديلُ أصلُه بدل، والباء والدّال واللّام أصلٌ واحدٌ، وهو قيامُ الشّيء مقامَ الشّيء الذّاهب[3]، وهو أعمُّ منَ العوض، فإنّ العوض هو أن يصير لك الثّاني بإعطاء الأوّل، والتّبديل قد يقال للتّغيير مطلقًا وإن لم يأت ببدله، قال تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ﴾ [البقرة: 59][4].

التّبديلُ أعمّ منَ التّعويض، والتّغييرُ أعمُّ منهما

أمّا التّغيير فمِن (غير)، والغين والياء والرّاء أصلان، أحدُهما يدلّ على اختلاف شيئين[5]، والتّغييرُ: التّبديل بالمغاير[6]، فإذا أتيت بثوبٍ أبيضَ مكان ثوبٍ أسودَ مختلفٍ في القماش واللّون، قلت: غيّرتُ الثّوب، وإذا أتيت بثوبٍ أبيضَ مكانَ ثوبٍ أسودَ، مصنوعٍ من قماش واحد، وكان الثّوبان لا يختلفان في شيء، قلت: بدّلت الثّوب، ويدور معنى التّغيير حول تحوّل الشّيء تحوّلًا تامًّا أو كالتّامّ، كتحوّل نفس الغيران منَ الرّضا ونحوه إلى الغضب الشّديد، وكالتّحوّل منَ القصاص إلى الدّية، ويرجَّحُ أنّ أصل هذا التّحول يكون من حسن أو

(1) العسكري، الفروق اللّغوية، ص: 136، 135.
(2) الرّاغب، تفسير الرّاغب: 5/ 392، والبيضاوي، أنوار التّنزيل: 2/ 134.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بدل).
(4) الرّاغب، المفردات: (بدل).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (غير).
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/ 102.

خيرٍ إلى شرٍّ، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الأنفال: 53][1].

فآثر النّظمُ القرآنيّ لفظَ التّبديل لدلالته على جعل شيءٍ بدلًا عن شيء آخرَ، فيجعلُ اللّه للعصاة التّائبين حسناتٍ كثيرةً عوضًا عن تلك السّيئات الّتي اقترفوها قبل التّوبة.

(1) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (غير).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والثلاثون،
سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والثلاثون، سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 38 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-80-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 38 : المجلد الثامن والثلاثون، سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-80-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5248773 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»